٤

ست درجات من الانفصال

أرنون ميلتشان رجل يعرف كيف يوجد الفرص

الرئيس الإسرائيلى شمعون بيريز

عندما كان أرنون فى الحادية والعشرين من عمره فى صيف عام ١٩٦٥، قام بأول مغامرة صريحة له فى عالم السياسة الإسرائيلى الغريب، إذ أصبح عضواً فى أحد أغرب الأحزاب السياسية فى تاريخ إسرائيل وكاد يكون مرشحاً له.

obeikandl.com

وتبدأ القصة عندما بدأ أرنون الفتى حديث الثراء، علاقة صداقة حميمة مع ملك الملاهى الليلية فى تل أبيب رافى شاؤلى، وكان يتردد بانتظام على ملهاه ومطعمه، والذى كان آنذاك أشهر وأفخم وجهة لوجهاء الطبقة الراقية فى إسرائيل، وبكل المقاييس، كان أرنون فتى جامحاً نهماً للهو والحفلات. كان من نوعية الأشخاص الذين يعيشون على حافة الهاوية. وكأنه يحرق شمعته من كلا طرفيها. كان ذلك ما لاحظته إرنى كانر مساعدته الشخصية طيلة ٣٠ عاماً.

سمى الملهى ماندين على اسم ماندى رايس ديفيس، وهى زوجة رافى شاؤلى الشقراء الجميلة إنجليزية الأصل، والتى تصادف أن كانت طرفاً داعماً فى قضية بروفومو، وكانت فضيحة جنسية سياسية ضخمة فى عام ١٩٦٣ فى المملكة المتحدة، وسميت باسم جون بروفومو، والذى كان وزير خارجية لشئون

obeikandl.com

الحرب آنذاك فى حكومة المحافظين البريطانية.

اشتركت ماندى رايس ديفيس فى أنشطة صراعات جنسية شهيرة لعدد من أكثر السياسيين نفوذاً فى بريطانيا آنذاك، وانتهت العلاقة برمتها فى مشهد عام فى المحكمة، ولا يزال الناس يتذكرون رايس ديفيس جيداً وهى تدحض شهادات الشخصيات السياسية القوية والذين كانوا ينكرون تورطهم، بجملتها الشهيرة "حسناً، من المتوقع أن يقول ذلك، أليس كذلك؟".

وبقى هذا التعبير، وأصبح مزحة قومية ومقولة ثقافية فى بريطانيا، واستغلت رايس ديفيس شهرتها الجديدة سيئة السمعة، عندما قارنت نفسها بليدى هاملتون عشيقة الأدميرال نيلسون. وبعد ذلك اعتنقت اليهودية، وتزوجت بصديق أرنون الجديد فى الملهى، وانتقلت للعيش فى إسرائيل، وأصبحت

أشهر مضيفة فى الملهى. وفى عام ١٩٨٩ تم إنتاج فيلم عن فضيحة علاقة بروفومو واسمه "الفضيحة"، ولعبت الممثلة برديجيت فوندا دور ماندى رايس ديفيس ذات الأعوام التسعة عشر.

تعرف أرنون على ماندى الحقيقية وكشاب غُر فتن بها. وكان يقضى ساعات طوالاً فى الملهى وكان يعقد فيه معظم لقاءاته، للعمل واجتماعياته على حد سواء. وهناك تعرف أيضاً لأول مرة على شخص لم يكن يعرفه إلا من بعيد، وهو أحد أكثر السياسيين الموهوبين فى إسرائيل، آنذاك والآن، وهو شمعون بيريز.

وكان بيريز البالغ من العمر آنذاك اثنين وأربعين عاماً يشغل منصب نائب وزير الدفاع بعدما شغل لأعوام منصب المدير العام للوزارة، وبالطبع كانت تلك المواقع بالغة التأثير على مصالح العمل لشركة ميلتشان إخوان.

أخبر بيريز أرنون بنيته فى أن يكون العضو المؤسس لحزب سياسى جديد باسم رافى، للعمال الإسرائيليين، ولا علاقة له بأى شكل كان برافى شاؤلى، وذلك قبل انتخابات الدورة السادسة لمجلس النواب الإسرائيلى أو الكنيست. وتقرر أن يقود الحزب الجديد عدد من الأعضاء المنشقين من الماپاى، وهو أكبر فصيل سياسى فى إسرائيل، والذى حكمها منذ قيامها.

لكن المفارقة تكمن فى أن قائد الفصيل المتمرد كان ديفيد بن جوريون نفسه.

ومنذ اليوم الذى أعلن فيه قيام دولة إسرائيل، كان بن جوريون الشخصية السياسية المهيمنة فى البلد، كأول رئيس وزراء ووزير دفاع، وحكم البلد بقبضة من حديد.

وضعت خطة منافسة الحزب الوحيد الحاكم منذ قيام الدولة فى مطعم كاسباه، وأثارت الخطة اهتمام ميلتشان بقوة. ها هو الرجل العجوز المبجل ديفيد بن جوريون يمرر الشعلة إلى الجيل الشاب،" شمعون بيريز وجماعته. واعتقد ميلتشان أن بيريز سيعود لوزارة الدفاع كممثل للحزب الجديد وقرر تركيز اهتمامه على الانتخابات المقبلة، عاطفياً وفكرياً ومالياً.

ومع التغاضى عن أهوائه الشخصية، فسرعان ما علم أن حزب رافى كان زاخراً بأبرز الموهوبين سياسياً فى إسرائيل، مثل أبا إيبان دبلوماسى إسرائيل الأبرز، وتزفى تزور رئيس أركان الجيش الأسبق، بالإضافة إلى إسحاق نافون ذى الـ٤٤ عاماً، وحاييم هيرزوغ ذى الـ٤٧ عاماً، وكلاهما أصبح رئيساً للدولة لاحقاً.

فى عيون العديد من الشباب الإسرائيليين، مثّل حزب رافى صرخة معركة متمردة فى وجه المؤسسة العجوز الفظة، أى حزب الماپاى والذى شعروا أن زمنه قد ولى.

اجتاحت أرنون حماسة الشباب. وأسره بيريز وجماعته، حيث رأى فيهم الجيل الجديد من المحترفين النشطين التنافسيين، ذوى القدرة الفائقة على قيادة الدولة فى اتجاهات جديدة شائقة.

وليس ثمة شك فى أن حزب رافى كان هو الحزب العصرى، لكن مسألة ترجمة جاذبيته العصرية إلى أصوات انتخابية لم تكن قد حُسمت بعد. ويزعم ميلتشان أنه كان المساهم الثانى فى تكوين حزب رافى، ووصف اجتماعاً له مع بن جوريون وبيريز قائلاً:

"فى تلك الأيام لم يكونوا يقبلون المساهمات المالية، بل كانوا يأخذون

قرضاً ويعطونك إيصال أمانة بقيمة الاعتمادات المالية التى سترد لاحقاً، وبالطبع لم تكن الاعتمادات ترد أبداً".

وأسهم ميلتشان بمليغ ثلاثة آلاف دولار، لكن إسهاماته لم تقتصر بالطبع على المال، فقد كان الحزب فى حاجة لنجم جديد ولشخص قادر على صنع علاقات.

وكانت أول مهمة له هى تأمين دعم عضوية رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلى السابق وبطل الحرب الأسطورى ذى الـ٥٠ عاماً موشيه ديان، إذ شعر بيريز بأن فرص الاكتساح فى الانتخابات ستكون أقوى بكثير بوجود ديان فى مجلس إدارة الحزب.

وكان ميلتشان يعرف ديان من الصفقات التى تبرم بين شركة ميلتشان إخوان ووزارة الزراعة، والتى كانت تتكرر على مستوى شبه يومى، بما يشبه علاقته بوزارة الدفاع. إذ كان مكتب ديان يصدر التراخيص والتصاريح لكل أعمال ميلتشان المتعلقة بالزراعة. خرج ديان من الخدمة مع بن جوريون، وتُرِك بلا عمل بعدما استقال من عمله كوزير للزراعة، ذلك المنصب الذى شغله لخمسة أعوام متوالية.

لكن عقب تأسيس حزب رافى، لم يكن ديان فى عجلة للانضمام لعصبة بيريز. إذ أدبر واستكبر ولعب دور العصى على الانصياع. وفى البداية صرح بأنه ينتوى البقاء فى حزب ماپاى ليعارض الزمرة المنشقة. لكن لاحقاً، وكنتيجة لمحادثاته مع ميلتشان، اقتنع ديان بأنه إن بقى فى حزب ماپاى، سيهمش ولن يتمكن من الدفع بأجندته الشخصية والسياسية.

وقال ديان لميلتشان "أعدُّ الاجتماع"، وكان ذلك بين أول الاستعراضات

لموهبة ميلتشان المتقدة فى عقد الصفقات.

وفى يوم صيفى حار فى أغسطس عام ١٩٦٥ وقبل أيام من الانتخابات، أعد ميلتشان للاجتماع المصيرى فى وقت متأخر بعد الظهيرة بين موشيه ديان وشمعون بيريز. وبسبب حرارة الصيف، جلس ثلاثتهم فى فناء حديقة منزل ديان فى زحالا وهى ضاحية فى تل أبيب، ليحاولوا التمتع ولو بنسمة باردة آتية من البحر الأبيض. وكانوا محاطين بمجموعة ديان الفنية الأسطورية من التحف الأثرية، والتى وجدها! فى عدة مواقع تاريخية عبر الأرض المقدسة. كان لابد لأى شخص آخر أن يلقى به فى السجن لخرق قانون حفظ الأثريات الإسرائيلى الصارم، لكن ديان لم يكن يقلق نفسه بشأن أشياء تافهة كتلك.

وقال لنا ميلتشان، "تمكنت من مد أواصر الصلة بينهما نتيجة شغفى بالسلام". وفى غضون تلك الساعة أعلن ديان أنه سينضم لحزب رافى. وانبهر كل من ديان وبيريز للغاية بمهارات رجل الأعمال الجديد فى الوساطة، وبعدما توّصل السياسيان لاتفاقهما، أشار ديان إلى ميلتشان وقال لبيريز "أتعرف يا شمعون؟ أريد أرنون وزيراً للمالية".

وأجاب بيريز بابتسامة ماكرة "حسناً".

ما لم يكن يعرفه السياسيون الثلاثة المشاركون، أن الاجتماع قد تعرض لاختراق أمنى. إذ كان هناك شخص معين يختبئ وراء السياج واستمع للحديث كله، وكان محرراً تحقيقياً لمجلة هاأولام هازيح، أشهر مجلة للفضائح فى إسرائيل. وخلال أيام نشرت المجلة عنواناً بالبنط العريض: "تعرفوا على أصغر وزير مالية فى تاريخ إسرائيل". وعقب صدور المجلة، دُعِى ميلتشان

للمشاركة فى لقاء على التليفزيون الإسرائيلى.

"كيف يمكن لشاب مثلك أن يشعر بأنه مؤهل ليكون وزير مالية دولة إسرائيل؟" سأله المحاور بلهجة وقحة فى بداية اللقاء.

وفى نفس اللحظة التى أدرك فيها أرنون ما ورط نفسه فيه، اتخذ قراره وقال للمذيع ألق نظرة جيدة علىّ! هل أبدو لك كرجل يمكن أن يتواجد فى الثامنة صباحاً على مكتب فى القدس ويرتدى حلة وربطة عنق للأعوام الأربعة المقبلة؟!

وأغلق الباب فى وجه السياسة كخيار اختاره لنفسه فى ذات تلك اللحظة على التليفزيون الوطنى، ليراها الجميع. "لقد تنحيت حتى قبل أن أرشح، إذ أدركت أن هذا المنصب غير ملائم لى"، كان هذا ما بينه لاحقاً. ما لم يفهمه ميلتشان أن ديان وبيريز كانا يعنيان شيئاً آخر تماماً بوزير المالية، أى شخص غير منتخب، وسرى، ويعمل خارج البلاد، وداخل الخدمة لأجل غير مسمى.

وكان ميلتشان كأى مؤيد آخر لحزب رافى مقتنعاً تماماً بأن الحزب سيحصد مقاعد كثيرة فى ليلة الانتخابات. لكن الإحباط كان من نصيبه حيث حصد حزب رافى فى انتخابات الدورة السادسة للكنيست، حوالى ٨٪ من الأصوات، أى بما يعادل عشرة مقاعد فى البرلمان من أصل ١٢٠ مقعداً، وذهب مباشرة إلى صفوف المعارضة.

كان فشل حزب رافى ذريعاً بدرجة أنه لم يفشل فقط فى الاقتراب من عدد المقاعد البرلمانية التى أمل فيها مؤيدوه، بل وزادت قوة غريمه حزب الماپاى الذى تمكن من تشكيل الحكومة من دون الحاجة إلى دعوة حزب رافى

للانضمام للائتلاف الحاكم، حتى كشريك بالأقلية.

كانت هزيمة مهينة أثبتت أن ما يبدو بدهياً ومرغوباً فى أعين النخبة لا يترجم دائماً كأصوات شعبية.

كان أول الأشياء التى فعلها حزب رافى كحزب معارض هو مهاجمة رئيس الوزراء ليفى إشكول لإخفاقاته الكبيرة المتعلقة بالدفاع العسكرى لكن من دون تحديدها.

ويفهم حالياً أن الفشل الذى كانوا يشيرون له هو قرار رئيس الوزراء إشكول بإبطاء وتيرة تطوير المفاعل النووى ديمونة مقابل المعونة العسكرية الأمريكية.

وعقب ذلك بفترة وجيزة، وفى عشية حرب الأيام الستة، دخل حزب رافى فى الائتلاف الحكومى كجزء من حكومة الوحدة الوطنية والتى شُكِّلت على عجل كرد فعل على الأزمة المتنامية، والتى أدت إلى الحرب فى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ . وعين موشيه ديان كوزير للدفاع بعد أن أطاح بالسياسة جانباً وقاد البلاد فى انتصارها غير المسبوق، بما جعله موضع مزيد من الحفاوة الدولية.

وعقب ذلك ببضعة أشهر، عاد كل أعضاء حزب رافى إلى حزب ماپاى وهم يجرون أذيال الخيبة، ما عدا ديفيد بن جوريون والذى ظل يهيم بوادى السياسة حتى موته فى ١٩٧٣ .

معاً، شكل حزبا رافى ومابای ما يعرف حالياً باسم حزب العمال. وبهذا انتهت حقبة حزب رافى. لكن بالرغم من المصير المشئوم للحزب الوليد، فقد أفادت تلك التجربة برمتها ميلتشان إلى أقصى حد، والذى اكتسب شهرة،

وسمعة مشبوهة، وعلاقات هامة امتدت لسنوات مقبلة، وبالفعل غيرت حياته إلى الأبد. وتحققت نبوءة ديان لميلتشان كوزير بديل للمالية فى النهاية بشكل غير متوقع أو تقليدى.

شغل العديد من أعضاء رافى الفاعلين أعلى المناصب فى الحكومة، وأصبح أرنون الاسم الأقرب إليهم كلهم، وكون مع بعضهم صداقات حقيقية وأصبح محل ثقة عميقة لدى البعض الآخر.

obeikandl.com